

الجزء الأول

في أدب الفكاهاة

oboeikan.com

من الجدية بمكان أن نعرف دور الفكاهة في الحياة الموزونة، ومن الهزل بمكان أن نغفلها ونحاول إقامة الحياة دونها. النظرة الجادة-أي: المحيطة- للحياة تعترف بدور الترويح والفكاهة فيها.. كذلك تعترف النظرة الجادة للحياة بدور الحاجات التسع الأخرى وضرورة إشباعها إشباعاً موزوناً.. تلك هي الحجة النظرية، ولكن بصرف النظر عن التنظير، لا نجد مجتمعاً إنسانياً واحداً خلا من أدب الفكاهة.. التراث الفرعوني، والبابلي، والآشوري، واليوناني، والروماني، والعبري، والعربي القديم زاخر بأدب الفكاهة ودليل على دورها النفسي والاجتماعي في حياة البشر.

الفكاهة والألفاظ المقاربة في اللغة

إن لغة العرب ليست وسيلة تعبير فحسب، ولكنها أيضاً ديوان العرب وموسوعة معارفهم. وليبان آرائهم عن الفكاهة فإنني سوف أستعرض ما جاء في الموضوع في لسان العرب لابن منظور^(١).

قال الجوهري^(٢): الفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل فهو فكه، إذا كان طيب النفس مزاحاً، والفكاهة المزاح. وفي حديث أنس: كان النبي ﷺ من أفكه الناس مع صبي. وفي حديث آخر أنه « كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه ». وقال أبو زيد^(٣): رجل فكه وفاكه وفيكهان، وهو الطيب النفس المزاح.

مزح: المزاح هو: الدعابة. المزاح نقيض الجدّ. قال الأزهري^(٤): المزاح من الرجال هم الخارجون من طبع الثقلاء المتميزون من طبع البغضاء.

(١) ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأنصاري (٦٣٠هـ - ٧١١هـ) لسان العرب - المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والأنباء والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة - سلسلة (تراثنا) - القاهرة - ٢٠ جزء.

(٢) أبو نصر الجوهري (٣٣٢هـ - ٤٠٠هـ) صاحب كتاب تاج اللغة وصحاح العربية.

(٣) أبو زيد الأنصاري (١٢٢ - ٢١٥هـ) صاحب كتاب النوادر في اللغة.

(٤) أبو منصور الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) صاحب كتاب تهذيب اللغة.

دعب: دعابة مداعبة داعبه - أي: مازحه، والاسم الدعابة والمداعبة. والمداعبة الممازحة، وفي الحديث أن النبي ﷺ كان فيه دعابة - حكاه ابن الأثير^(١) في النهاية. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لجابر^(٢) «وقد تزوج: «أبكرأ تزوجت أم ثيباً؟ قال: بل ثيباً»، فقال له: «هلا تزوجت بكرأ تداعبها وتداعبك».

هزأ: والهزأ والهزؤ السخرية، ويقال هزئ به ومنه. ورجل هزأة، أي: يهزأ به الناس سخر منه، هزئت به سخرت منه، وسخرت به ضحكته منه وضحكته به.

هزل: الهزل نقيض الجد. وتقول: هزل يهزل هزلاً قال الكمي^(٣):

أرانا على حب الحياة وطولها نجدُّ بنا في كل يوم ونهزل

الضحك: الضحك ظهور الثنايا من الفرح. وفي الحديث: يعث الله السحاب فيضحك - جعل انجلاءه عن البرق ضحكاً كما يفتر الضحاك عن الثغر. ويقال: ضحك الأرض إذا أخرجت نباتها وزهرتها. الضحك إذن ظاهرة محسوسة مشاهدة تجسدها حركة في الوجه وظهور الثنايا، ومن الضحك ما هو طيب ومنه ما هو خبيث ما كان منه نتيجة هزاء وسخرية وهزل؛ فهو خبيث لذلك نسبت الفكاهة والدعابة لبعض أفعال وأقوال النبي ﷺ، ولم تنسب له السخرية والهزل والهزاء.

حول الضحك

ما هو الضحك؟ ولماذا يحدث نحن البشر إذا شاهدنا جمالاً رائعاً في البحر، أو

(١) مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر.

(٢) جابر بن عبد الله الأنصاري (١٦ ق. هـ - ٧٨ هـ) جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان الأنصاري

السلمي الخرجي الفقيه. صاحب رسول الله ﷺ.

(٣) الكمي بن زيد بن جيش بن مجالد بن وهب بن عمرو الأسدي الشاعر، الكوفي (٦٠-١٢٦ هـ)

كان أصمياً.

النهر، أو الشجر، أو المدر، أو القمر، أو الصخر، أو البشر لا نملك إلا أن نعجب به
معبرين بإحدى عبارات الإعجاب: الله، يا سلام، ما شاء الله، أو أمثالها؟ كذلك
هنالك مواقف إذا مرت علينا لا نملك إلا أن نبسم أو نفهقه ها ها ها لماذا؟!

الضحك انفعال تنقبض له ١٥ عضلة من عضلات الوجه، ويصعبه تغيير في
نبرة التنفس، إذا عرضنا إنسان العين لضوء قوي؛ فإنه ينكمش من تلقاء نفسه، وإذا
تعرض الإنسان لموقف فكاهة؛ فإنه يضحك من تلقاء نفسه، هذا يشير إلى وجود
صفتين هامتين للضحك:

أ. الصفة الأولى: هي أن الضحك يخدم غرضًا حيويًا للإنسان، مثلما يخدم
انكماش إنسان العين مع الضوء غرضًا حيويًا، الغرض الذي يخدمه الضحك هو
إزالة التوتر من نفس الإنسان.

ب. الصفة الثانية: هي أن الضحك أكثر تعقيدًا من انكماش إنسان العين: لأن
فيه جوانب حسية، وجوانب نفسية، الجانب الحسي: هو تقلص عضلات الوجه
وانحسار الشفتين عن الأسنان واختلاف نبرة التنفس، أما الأثر النفسي فهو
الابتهاج أو السرور. هنالك أحوال كثيرة ذات أثر نفسي مثل الضحك، ولكن
الضحك يختلف عنها. فإذا هممت بإقناع شخص بحجة ما فإنك لا تستطيع أن تجزم
بعد سماع الحجة أنه اقتنع بها، ولكن إذا عرضت شخصًا لموقف فكاهة؛ فإن ضحكه
يؤكد لك أنك قد حققت ما تريد.

فالضحك هو انفعال حسي ونفسي بمواقف فكاهة، وهو طبيعي في الإنسان
بحيث لا يعرف مجتمع إنساني لم يمارس الضحك ويسجل أدبا للفكاهة.

قال أرسطو: «إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك!.. لقد أثبتت
بعض الدراسات العلمية الحديثة أن في بعض الكائنات يوجد شيء شبيه للضحك

استجابة لبعض المؤثرات، ولكن ومع ذلك فإن هذه الدراسات تؤكد أن ضحكها يختلف عن الإنسان؛ لأنه يفتقد عنصر الوعي بالذات الذي يوجد في الضحك الإنساني.

الضحك والصحة:

بعض النظريات الطبية تنسب الصحة الجيدة للضحك؛ لأنه يحفز إطلاق الإندورفينات endorphins، وقد أظهرت دراسة أنه، وخلال الضحك فإن النيورونين neuroendocrine والهرمونات المتعلقة بالضغط تقل أثناء نوبات الضحك، مما يعضد من المزاج بأن الفكاهة يمكنها أن تحرر الضغوط النفسية على الإنسان.

وقد بدأ بعض العلماء منذ ثمانينات القرن العشرين في تنظيم برامج للعلاج بالضحك، وقد رأى أحدهم مثلاً أن «برنامج العلاج بالضحك يمكنه أن يرتقي بنوعية الحياة للمرضى الذين يعانون من مشاكل مزمنة، وأن الضحك له تأثير فوري بالتقليل من الأعراض، وهو تأثير يمكن الحصول عليه بحثهم على الضحك لفترة من الوقت وبشكل منتظم».

وهنالك «يوجا الضحك» التي تزعم علاج العقل عبر تمارين الضحك^(١).

وقد اعتبر بعض العاملين في حقل العلاج عبر الضحك أن ضحكة جيدة من القلب يمكن أن تساعد في التالي:

- تقليل الضغط النفسي: فالضحك يقلل من هرمونات الضغط النفسي.
- تقليل ضغط الدم: الأشخاص الذين يضحكون من القلب وبشكل منتظم

(١) انظر الموقع <http://www.laughteryoga.org/about-laughter-yoga.php>

يستمعون بضغط للدم أقل من الآخرين. الضحك نفسه يرفع من الضغط في لحظته، ولكنه بعدها يقلل منه كما يتنفس الشخص بعدها بشكل أعمق.

- تحسين المزاج وتطوير عمل الدماغ.
 - تعزيز جهاز المناعة؛ لأن الضحك يزيد من إنتاج الأجسام المضادة للالتهابات.
 - حماية القلب: الضحك مقرونًا مع وجود روح فكاهية عالية يمكن أن يحمي من الذبحة الصدرية. وفي دراسة أجرتها جامعة ميريلاند الأمريكية اتضح أن ٤٠٪ من الأشخاص المصابين بأمراض القلب أقل ضحكًا في معظم الحالات، مقارنة بغير المصابين في نفس المجموعة العمرية.
 - وصل الشخص بالآخرين، والشعور بالراحة الفورية^(١).
- كما وجدت للضحك تأثيرات كثيرة على الإنسان إذ يمكن عبر الضحك أن يفقد الإنسان وعيه.

لقد أظهر البحث أن الضحك يستخدم أجزاءً من الجهاز الليمبي limbic system، وهو - أي: الجهاز الليمبي - الجزء البدائي من المخ الذي نستخدمه في العواطف، ويساعدنا في الوظائف الأساسية الضرورية للبقاء. تكوينان داخل هذا الجهاز يتعلقان بالضحك هما: الأميغدالا amygdala، والهيپوكامبس hippocampus..

ومن أعراض بعض الأمراض: الضحك اللاطبيعي، أو المرضي كبعض أنواع الصرع والشلل الرعاش، وأيضًا بعض أنواع سرطان المخ وغيرها من الأمراض

(١) Humor and Laughter: Health Benefits and Online Sources
انظر الموقع <http://faculty.washington.edu/chudler/laugh.html>

التي تصيب الجهاز العصبي، والضحك غير الملائم أيضًا قد يكون عرضًا لمرض نفسي مثل: الهستريا، وفقدان الذاكرة.

يمكن تصنيف الضحك إلى عدة أقسام فرعية اعتمادًا على مدى ودرجة الضحك: القهقهة شبه الصامتة، والضحكات الطويلة بأنواعها، ويمكن اعتبار الابتسام كنوع من الضحك الصامت. بعض الدراسات تدل على أن الضحك يختلف طبقًا لنوع الشخص الضاحك، فانساء يملن للضحك في شكل أقرب إلى النغم، والرجال عادة ما يضحكون بشكل أقرب للصهيل، أما الأطفال فيبدوون الضحك في عمر حوالي ٤ أشهر. والضحك قد يستخدم كإشارة لكون الشخص جزءًا من جماعة، وقد يكون معديًا، فضحك أحدهم قد يثير ضحك الآخرين.

وقد اعتبر البعض أن للفكاهة دورًا كبيرًا في الحياة، وقد قال السير (دوجلاس نيوبولد)^(١) ذات مرة في محاضرة له ألقاها في المركز السوداني بالخرطوم في ٣٠ مايو سنة ١٩٤٠: «لا أعتقد أنه قد تمت الكتابة بشكل كاف عن دور الفكاهة والظرف في السياسة، أو في الثقافة، أو في الحياة، بينما الفكاهة لها دور كيميائي، فهي توظف النسيج الأساسي لأفكارنا وتجاربنا.» ثم نقل نيوبولد بعد ذلك رأيًا طريفًا جدًا للكاتب الصيني لن يوتانج يقول فيه: «إذا أرسلت خمسة من أفضل ممارسي الفكاهة في العالم إلي مؤتمر دولي، ومنحتهم السلطات المطلقة التي يملكها الحكام المستبدون، فإنهم سوف ينقذون العالم، لأن الفكاهة تترافق بالضرورة مع الإحساس الطيب والروح المعقولة، بالإضافة إلى قدرات ذهنية في منتهى الدقة تساعد على اكتشاف التناقض والسخف والمنطق الرديء.» وقال نيوبولد: «إن الفكاهة تضرب في أعماق

(١) دوجلاس نيوبولد (سير) (١٨٩٤ - ١٩٤٥) وقد كان يشغل منصب السكرتير الإداري في حكومة الاحتلال الثاني في الفترة (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) وكانت له صداقة بالأديب المصري عباس العقاد.

جذور الثقافة، وتفتح الباب أمام العصر المعتدل المعقول في هذا العالم، وقد يكون من اللائق في المؤتمرات الدولية واللقاءات العلمية وغيرها من المناسبات الجادة أن يكون الافتتاح بعرض أحد الأفلام الضاحكة لميكي ماوس، فهذا الافتتاح قادر على أن يوقظ الإحساس بروح الفكاهة في صدور المشاركين، وأن يهيئ المناخ لمعالجة معقولة وسارة للمشكلات الصعبة»^(١).

أسباب الضحك:

ولأهمية الضحك كظاهرة تساءل علماء النفس، والفلاسفة، وعلماء الاجتماع: لماذا نضحك؟

• نظريات قديمة: كان في اليونان قديماً فيلسوفان: الفيلسوف الباكي هيرقليطس^(٢)، والفيلسوف الضاحك: ديمقريطس^(٣). أما أفلاطون^(٤) فقد ذكر المضحكين والمضحكات في سياق البحث عن المدينة الفاضلة، وقال: إن الإنسان الكريم لا يعرف الجد إلا بالهزل على أن يشهد الهزل من العبيد والأجراء المسخرين

(١) رجاء النقاش الضاحكون بنقذون العالم في جريدة الإهرام العدد ٤٣٦٣٠ - بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٠٦، ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ.

(٢) هيرقليطس (٥٠٤ وولد ق.ب) فيلسوف يوناني كان يُكَنَّى بالغامض؛ وقد اعتزل أهل مدينته لفسادهم، واتَّخذ البراري والجبال، له مصنّف واحد في الطَّبيعة.

(٣) ديمقريطوس (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) فيلسوف يوناني عالِم في مؤلفاته، فروع المعرفة الإنسانية المختلفة كالرياضيات، والفيزياء، وعلم الأخلاق، والأدب، واللغة. دُعِيَ «الفيلسوف الضاحك» بسبب مزاجه المرح.

(٤) أفلاطون Plato (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) فيلسوف يوناني. واسمه الحقيقي أرسطوكليس. ولد من عائلة غنية وبارزة، وكلمة أفلاطون كنية تعني ذا الكتفين العريضين. وكان أفلاطون من أتباع سقراط، وعرفه أفلاطون وهو شاب صغير. ويُعدّ أفلاطون، هو وسقراط وأرسطو، واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية.

ولا ينعغمس فيها بنفسه^(١)، أما أرسطو^(٢): فيعتقد أننا نضحك على الأفراد الأدنى أو الدميمين لأننا نشعر بالمتعة لكوننا أفضل منهم^(٣). وحسب دارون^(٤)، فإن دغدغة الخيال مماثلة لدغدغة الجسد، ويعطي مثلاً على ذلك ضحك الأطفال. وكذلك تحدث الدغدغة الفكرية من خاطر غير معهود ولا معروف من قبل، ويبدو أن العنصر القوي في تكوين الضحكات يعود إلى عامل طارئ، أو منافر يقع في سياق التفكير. وقد أحصى داروين بدقة عو رض الضحك على الوجه والجسم. ويختلف داروين عن ألفرد ولاس حول الملكة الخصوصية عند الإنسان مثل ملكة الفكاهة وملكة الإدراك الرياضي، والحس الموسيقي وما إلى ذلك. والفيلسوف الألماني كانط^(٥) يذهب إلى أن الضحك ينشأ من التوقع الذي ينتهي فجأة بدون جدوى^(٦). وشوبنهاور^(٧) يعتبره ناتجاً عن التنافر بين فكرة عامة وما يمثلها حقيقة على أرض

(١) صبحي درويش، فلسفة الضحك والفكاهة والمزاح موقع دروب على الإنترنت <http://www.doroob.com/?p=8837>

(٢) أرسطو (أرسطوطاليس) (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني. تلميذ أفلاطون. وأستاذ الإسكندر المقدوني. وفي عام ٣٣٤ ق.م. ولما تولى الإسكندر الحكم، اختلف أرسطو معه وأنشأ مدرسته المعروفة باسم الليسيوم. ويعتبر أرسطو أول من أرسى قواعد الفلسفة للعلوم، ومؤسس علم المنطق.

(٣) موسوعة الويكيبيديا على الإنترنت.

(٤) شارلس دارون Charles Darwin، (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم بريطاني اشتهر بنظرية «النشوء والارتقاء» أو النظرية التطورية، وقد أثارت جدلاً كبيراً في الغرب خاصة لتناقضها مع قصة الخلق في الكتاب المقدس.

(٥) عمانوئيل كانط Immanuel Kant (٢٢ أبريل ١٧٢٤ - ١٢ فبراير ١٨٠٤ م) آخر فلاسفة عهد التنوير العظام، يعتبر من أهم الفلاسفة الأوربيين. ألماني.

(٦) درويش، سابق.

(٧) آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer (٢٢ فبراير ١٧٨٠ - ٢١ سبتمبر ١٨٦٠ م) فيلسوف ألماني شهير.

الواقع فالضحك نتيجة للمفاجأة بإدراك عدم التناسب بين الشيء المضحك والشيء الذي يخطر على البال أنه يشبهه.. وقد شاركه هيغل^(١) في هذه الفكرة، ولكنه رأى الفكرة العامة كمظهر ورأى الضحك كمبطل لذلك المظهر، أما فرويد^(٢) فإن الضحك في نظره «ظاهرة اقتصادية» وظيفتها إطلاق طاقة نفسية حشدت خطأ عبر توقعات خاطئة أو زائفة. كما كتب فرويد رسالة مسهبة عن النكتة ومدلولاتها الاجتماعية، والفنية، وزبدة كلامه أن النكتة ضرب من القصد الشعوري والعملي يلجأ إليه الإنسان في المجتمع ليعفي نفسه من أعباء الواجبات الثقيلة ويتحلل من الحرج الذي يوقعه فيه الجد ولوازم العمل، وأن النكتة تشبه الأحلام والرؤى. وقد توغل تلامذة فرويد في مدرسة التحليل النفسي خاصة في علم الفولكلور في تفسير القصص، والأمثال، والنكات الشعبية، والأساطير، ورمزياتها المختلفة.

- في العصر الراهن فإن الاتجاه هو قبول فكرة التنافر بين المتوقع والكائن مسبباً محتملاً للضحك، فالنظرية المؤيدة تقول: إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك ويبكي؛ لأنه الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يرى فرقاً، بينما ينبغي أن يكون وبينما هو كائن فعلاً، فالضحك انفعال يحدث عندما يشهد الإنسان أمرين غير متجانسين كأن يرى شخصاً وقور المظهر يتصرف بطريقة صبيانية.
- ونظرية أخرى تقول: إن التكوين الفسيولوجي - علم وظائف الأعضاء -

(١) جورج فيلهيلم فريدرش هيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (٢٧ أغسطس ١٧٧٠ - ١٤ نوفمبر ١٨٣١م) فيلسوف ألماني ولد في شتوتجارد.

(٢) فرويد (سيجموند فرويد) (٦ مايو ١٨٥٦ - ١٩٣٩م) طبيب وعالم نفس نمساوي يهودي الأصل. نشأ بفينا وهاجر إلى إنجلترا وتوفي فيها بسبب المعاداة لليهود في النمسا، وألمانيا إبان النازية. سببت كتاباته نقلات هامة في علم النفس، وقد أذاع فكرة العقل الواعي واللاوعي للإنسان. كما ركز على دور الجنس في الحياة.

للإنسان اكتمل في ظروف بيئية متوحشة لذلك إذا سمع الإنسان صوتاً مزعجاً؛ فإن إحدى الغدد الصماء تفرز مادة (ادرلانين) تمكنه من القفز، أو الهروب، أو الهجوم.. ما زالت الغدد الصماء في جسم الإنسان تقوم بدورها، ولكن ظروف الإنسان المتحضر لا تتناسب مع التصرفات القديمة لذلك صار الإنسان بعد انتهاء مرحلة التوحش الأولى محتاجاً إلى قنوات لتصريف الطاقات التي يلهبها فيه إفراز الأدرلانين، وأن هنالك عدداً من القنوات التي ابتدعها الإنسان عبر تاريخه لتصريف تلك الطاقات مثل الرياضة التنافسية، ومثل الفكاهة.

• الفيلسوف وأستاذ الأديان جون موريس درس الفكاهة لمدة ٢٥ عاماً، وهو يراها كتعبير مشترك للراحة بإزاء زوال الخطر. يقول موريل: «الفكاهة تشجع التفكير الإبداعي، والمرونة الذهنية، والمقدرة على استيعاب المتغيرات، إنها تساعدنا على الانسجام مع بعضنا الآخر»^(١).

• الفكاهة اللفظية: كما قدم كل من فيكتور راسكن وس. أتاردو ما أسموه «النظرية العامة للفكاهة اللفظية» التي قدمت أنموذجاً دلاليّاً قادراً على تصوير التنافر بين النصوص الدلالية في الفكاهة اللفظية، مما اعتبر تقدماً حديثاً في تطوير نظرية الضحك^(٢).

• نظرية معرفية: قدم بيتر مارتينسون مؤخراً نظرية معرفية للكوميديا-ontic (OETC) epistemic theory of the comic مفادها أن الضحك هو استجابة لإدراكنا أن الكائن الاجتماعي ليس حقيقياً بذات القدر الذي تكون به

(١) انظر الموقع <http://www.wm.edu/news/?id=٣٧٧٢>

(٢) انظر مثلاً بحث فيكتور راسكن وآخرين في الموقع

<http://web.ics.pu.due.edu/~kattriez/chi٢٠٠٣.pdf>

الحالات الواقعية للأمور حقيقية، وذلك أننا وبشكل لا واعي نغيب الفروقات بين أنواع الحقيقة الثقافية والطبيعية، بحيث أننا لا نلاحظ عادة معاييرها المختلفة للحقيقة والزيف، حتى ندرك ذلك فنضحك^(١).

• النظريات العصبية: اهتم علماء الأعصاب بالضحك ومسبباته العصبية. ففي معظم الناس، يمكن إثارة الضحك عبر الوخز (الكلكلة) وهي ظاهرة في حد ذاتها. والغاز الذي يسبب الضحك نفسه يمكن استخدامه أحياناً كمسكن للألم. كما أن بعض الأدوية مثل cannabis يمكنها أن تتسبب في نوبات ضحك قوية، وفي حالات نادرة فإن الألم يمكن استخدامه لجلب الضحك، وليس بالضرورة مصحوباً بمعللات ماشوستية أو حزينة. وفي إحدى المجلات العلمية الأمريكية يتم وصف المسببات العصبية للضحك كالتالي: «مع أنه لا يوجد مركز معروف للضحك في المخ، فإن الميكانيزم العصبي للضحك كان محط تخمينات كثيرة برغم كثرها لم تكن حاسمة. من المؤكد أنه يعتمد على مسارات أو طرق عصبية neural paths قريبة من المراكز المعنية بالتنفس»^(٢).

أنواع الضحك:

يقول صبحي درويش: (هناك ضحك السرور والرضا، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب، وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشتمة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة، وهناك ضحك المقرور وضحك المشنوج وضحك السداجة وضحك البلاهة. ولقد أحصى الفكاهيون والمتنكرون من أساليب التعبير الفكاهي:

(١) موقع الويكيبيديا.

(٢) نفسه.

أسلوب القلب، والعكس، والمقابل، والملاحظة اللاذعة، واللغز والظن المختلف والنادرة والكلمة التي تقال وتفهم على معنيين وتكرار الكلمة في مواضعها والنسيان المعهود في العلماء والمعلمين، وأكثوبة نيسان (أبريل) والعثرة اللسانية والغلظة مع حسن النية، والغلظة المطبعية وخيبة الحيلة وارتدادها على صاحبها والأفضية السليمانية والمفارقة والصورة الهزلية في الكلام واتباع الحكمة بحكمة أخرى توافق مقدماتها ولا تخطر في الحسبان، والنصائح المطردة مع القياس الظاهر، والسخرية وفكاهة قبل وبعد^(١)، وباستبعاد الضحك المحفز عبر الوخز أو في تمارين اليوجا، فإن الضحك التلقائي يشتمل على عنصرين هاميين هما:

أ. عنصر عدم الانسجام بين ظاهرتين مثل: النكت التي ألفت عن ربيعة هانم والسبع أفندي: ربيعة هانم: امرأة سمينة جداً، والسبع أفندي: رجل هزيل جداً والمفارقة بين الاسم والفعل في الحالتين، وبين الدور الأضعف المتوقع للمرأة والدور الأقوى المتوقع لرجل هذه انفارقات تشكل عنصر الإضحاك وعلى ذلك تقاس نكات كثيرة.

ب. عنصر النقد الظاهر أو الخفي مثل: الإضحاك الوارد في كرتون توم وجيري (Tom & Jerry)، والنقد للقوة الغاشمة التي يمثلها توم وفشلها المستمر أمام حيلة وحظ جيري أو النقد الذي تنطوي عليه عبارات ذكية مثلما حدث عندما زار خرتشوف^(٢) سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي بريطانيا في عام ١٩٥٦ زار

(١) درويش، سابق.

(٢) نيكيتا خرتشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١ م) القائد السوفيتي الشيوعي، كان سكرتيراً للحزب الشيوعي السوفيتي في الفترة ما بين ١٩٥٣ - ١٩٦٤ م، ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في الفترة من ١٩٥٨ وحتى ١٩٦٤.

خرتشفوف متحف فكتوريا وألبرت^(١) فسأل ما هو شغل ألبرت؟ قيل له: إنه زوج الملكة قال: أعني ما هو شغله بالنهار؟!.



(١) الملكة فيكتوريا الأولى (١٨١٩ م - ١٩٠١ م) ألكسندريا فيكتوريا، ملكة بريطانيا، وأيرلندا (١٨٣٧ م - ١٩٠١ م)، وإمبراطورة الهند (١٨٧٦ م - ١٩٠١ م). وهي حفيدة جورج الثالث. عندما بلغت سن الرشد مات عمها غليوم في ٢٠ يونيو عام ١٨٣٧ م، وكانت هيبية المملكة في أقصى درجات الانحطاط، وتولت عرش بريطانيا في سن مبكرة، فبرهنت عن صلابتها وعزيمتها. وفي عام ١٨٤٠ م تزوجت من قريبها البرنس ألبرت (١٨١٩ م - ١٨٦١ م)، وأنجبت منه تسعة أطفال، ويعتبر حكمها أطول حكم في تاريخ بريطانيا، وأكثره مهابة، شهد عهدها تقدم بريطانيا السريع في التصنيع، وأصبحت مثلاً للملكية الدستورية، واتسعت رقعة الإمبراطورية البريطانية؛ فشملت خمس الكرة الأرضية، وسميت بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

الضحك في التراث الإسلامي

التراث الإسلامي دلائل على وجود الضحك كثيرة.. لنبدأ بالقرآن وهو كما وصفه النبي ﷺ «مأدبة الله»، مواقف الفكاهة في القرآن عديدة أذكر منها مشهد إبراهيم عليه السلام - مع الوثنيين وقد حطم الأصنام ثم وضع الفأس على كتف أكبرها مدعياً أنه محطم الآخرين (نكسوا على رؤوسهم)، ذلك أنه وضعهم أمام مفارقة فهم يزعمون أن التماثيل آلهة وهو يؤكد أنها لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع حتى الدفاع عن نفسها، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ نَحْمَدُكَ أَيُّهَا النَّاسُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاقْتُلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٢﴾ (١)

وكذلك موقف زوج عزيز مصر وقد دعت النساء اللاتي كن ينكرن عليها افتتانها به، فأعدت لهن متكئاً وأمسكن بالسكاكين وخرج عليهن يوسف - عليه السلام - فطاش صوابهن!! قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١) (٢)

وموقف سليمان - عليه السلام - من حديث النمل حيث حذرت إحداهن البقية

(١) سورة الأنبياء الآيات (٥٨ - ٦٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٣١).

من أن يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنزَلْنَا عَلَيَّ وَالرَّجُلِ فَأَلَّتْ نَمَلُهُ بِتَأْيِهَا النَّعْلَ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّرَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾^(١).

الفكاهة لدى الرسول ﷺ وأصحابه

أما السيرة فتحادثنا أن النبي ﷺ كان أكثر الناس تبساً في وجوه أصحابه، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه^(٢). ومن حديث جرير^(٣) قال: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضِحْكَ» أو «وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ»^(٤). وأخرج الإمام أحمد عن أمِّ الدرداء^(٥) «كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ^(٦)، إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا تَبَسَّمَ، فَقُلْتُ: لَا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ، أَيُّ: أَحَقُّ؟ فَقَالَ: «مَا رَأَيْتُ، أَوْ مَا سَمِعْتُ، رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا إِلَّا تَبَسَّمَ»^(٧).

وكان الرسول ﷺ يدعو لطلاقة الوجه وإلى الابتسام، وقد قال: «تَبَسُّمُكَ فِي

(١) سورة النمل الآيتان (١٨، ١٩).

(٢) متفق عليه من كلام عبد الله بن مسعود.

(٣) جرير بن عبد الله البجلي (ت ٥١ هـ / ٦٧١ م) هو الشليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنهار بن إراش، يكنى أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله البجلي. كان جميلاً قال عمر: هو يوسف هذه الأمة. أسلم في السنة العاشرة للهجرة، ويُقال له: الكعبة البيانية. شارك في فتوح العراق، وكان له أثر عظيم في فتح القادسية. توفي بالعراق.

(٤) متفق عليه.

(٥) أم الدرداء الأوصابية (ت ٧٨ هـ) أم الدرداء الصغرى.

(٦) أبو الدرداء (ت ٣٢ هـ) عويمر بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري.

(٧) مسند أحمد بن حنبل.

وَجِهَ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١) وقال من حديث أبي هريرة: «إنكم لن تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». ^(٢) وقال لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ مُنْبَسِطٍ» وقيل: «بِوَجْهِ طَلِيقٍ، وَبِوَجْهِ طَلِيقٍ»^(٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يهازح أصحابه، وقد ترددت الروايات التي تثبت ذلك، فعن أنس بن مالك^(٤) رضي الله عنه (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ»^(٥). وكان يستخدم النكتة اللغزية، من ذلك ما روي من أن رجلاً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله احملني قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وِلْدِ النَّاقَةِ» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوقُ؟!»^(٦).

وكان يستخدم المزاح ليذهب الحزن عن الناس، وقد روى أنس كيف أنه مازح أخاه أبا عمير وقد كان حزينا على طائر له مات، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخَالِطُنَا حَتَّىٰ إِنْ كَانَ لَيَقُولُ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ»^(٧)، والنغير هو: طائر صغير كان يلعب به مات^(٨). قال أنس أيضا: كَانَ

(١) رواه أبو ذر.

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي وابن أبي شيبة وابن حجر.

(٣) رواه الحاكم والبيهقي.

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام (ت ٩١هـ) - أبو حمزة: صحابي أنصاري مدني، من المكثرين في رواية الحديث، توفي بالبصرة.

(٥) رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

(٦) رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

(٧) سنن الترمذي.

(٨) رواه البخاري، ومسلم.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الشُّوقِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي ، قَالَ : فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّسُّ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، أَنَا أَذْهَبُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ : اللَّهُ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ : هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟^(١)

ومن مداعباته صلى الله عليه وسلم لصحابته ما رواه أسيد بن حضير^(٢) ، قال : (بَيْنَمَا هُوَ - يَعْنِي : أُسَيْدٌ - يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مَزَاحٌ بَيْنَنَا يُضْحِكُهُمْ ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتَيْهِ بِعُودٍ فَقَالَ : أَصْبِرْ نِي فَقَالَ : « اصْطَبِرْ » قَالَ : إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ ، « فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ ، فَاحْتَضَنَهُ ، وَجَعَلَ يَقْبَلُ كَشْحَهُ » ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ)^(٣) .

قال كعب بن مرة سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : « اِرْزُمُوا أَهْلَ صُنْعٍ ، مَنْ بَلَغَ الْعُدُوَّ بِسَهْمٍ ، رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً » ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي النَّحَّامِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الدَّرَجَةُ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمَّكَ ، وَلَكِنَّهَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةٌ عَامٌ »^(٤) .

وعن أنس (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا ، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أسيد بن الحضير (ت ٢٠هـ) هو أسيد بن الحضير بن سهاك بن عتيك الأوسي الأنصاري . أبو يحيى . كان شريفًا في الجاهلية والإسلام ، مقدمًا في قبيلته (الأوس) ، ويسمى (الكامل) توفي بالشام .

(٣) رواه أبو داود ، وصححه الألباني .

(٤) رواه النسائي ، وأحمد .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهُدْيَةَ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَيَجْهُزُهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا ، وَتَحْنُ حَاضِرُوهُ » . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ ، فَأَخْتَصَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَرْسَلَنِي مِنْ هَذَا ، فَالْتَمَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ عَرَفَهُ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِذَا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ : لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ »^(١) .

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع أقاربه ، فيأتي عليًّا^(٢) ، وهو مضطجع في المسجد ، بعد أن سأل عنه فاطمة^(٣) رضي الله عنها ، فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ، فيقول له : « قُمْ أَبَا التُّرَابِ قُمْ أَبَا التُّرَابِ »^(٤) .

وكان يمازح الصحابة ، وقد روي أن الصحابي نعيمان بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه كان كثير الضحك حاضر الطرفة سريع البديهة ، وقد أشار الإمام النووي إلى كثرة مزاح نعيمان وضحك النبي صلى الله عليه وسلم منه حتى قيل إن الرسول ﷺ قال عنه: « يدخل الجنة وهو يضحك » . ولنعيمان الأنصاري قصص كثيرة تدور

(١) رواه أحمد.

(٢) علي بن أبي طالب (٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ) : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي رابع الخلفاء الراشدين . قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي .

(٣) فاطمة بنت محمد ﷺ (ت ١١ هـ) : هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ من زوجته خديجة بنت خويلد وتلقب بالزهراء . وعاشت بعده ستة أشهر فقط .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

حول دعابته مع رسول الله ﷺ ومع أصحابه. وقيل: إنه كان لا يدخل المدينة طرفة، أو فاكهة، إلا اشترى منها، وأكل بعضها، وأهدى الباقي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نعيان أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أعط هذا ثمن متاعه!! فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أولم تهده لي؟» فيقول: نعم، ولكن، والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله. فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ويأمر لصاحبه بالثمن.

ومن نوادره: أن أعرابياً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأناخ ناقته بفنائها، وكانت - ناقة - فتية سمينة، فقال بعض أصحاب نعيان: لو عقرتها فأكلناها. فإنا قد قرمنا إلى اللحم، فقام نعيان وعقر الناقة، فخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم ووجد ناقته تُسلخ، ونعيان يتولى توزيع لحمها. فصاح: يا محمد، واعقراه: واناقتاه! فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «من فعل هذا؟» فقالوا: النعيان. فأتبعه يسأل عنه، حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب. واستخفى تحت سرب. دكة تكون خارج الغرفة فوقه جريد. فأشار بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكانه: فأمر بإخراجه، وقال له: «ما حملك على ما صنعت؟». قال: الذين دلوك علي يا رسول الله، هم الذين قرّموا إلى اللحم، وأمروني بعقر الناقة. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يمسح التراب عن وجهه، ثم غرّم ثمنها للأعرابي.

ولربما ضحك ﷺ من نوادر النعيان عامّاً كاملاً؛ فعن أم سلمة^(١) «أنَّ أبا

(١) أم سلمة (أم المؤمنين) (٢٨ ق. هـ/٥٩٦ م. ٦٢ هـ/٦٨١ م) هند بنت سُهَيْل المعروف بأبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو، القرشية المخزومية. لما مات عنها زوجها أبو سلمة في المدينة تزوجها النبي، في السنة الرابعة للهجرة، ولم ينجب منها. وكانت ممن يعرفن الكتابة. توفت في المدينة ودفنت بالبيع، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين

بَكْرٍ^(١) خَرَجَ تَاجِرًا إِلَى بَصْرَى ، وَمَعَهُ نَعِيمَانُ وَسُوَيْبُ بْنُ حَرْمَلَةَ ، وَكِلَاهُمَا بَدْرِيٌّ ، وَكَانَ سُوَيْبُ عَلَى الزَّادِ ، فَجَاءَهُ نَعِيمَانُ . فَقَالَ : أَطْعِمْنِي ، فَقَالَ : لَا . حَتَّى يَأْتِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ نَعِيمَانُ رَجُلًا مَضْحَاكًا مَزَاحًا ، فَقَالَ : لِأَغِيظَنَّكَ ! فَذَهَبَ إِلَى نَاسٍ جَلَبُوا ظَهْرًا ، فَقَالَ : ابْتَاعُوا مِنِّي غُلَامًا عَرَبِيًّا فَارِهًا ، وَهُوَ ذُو لِسَانٍ ، وَلَعَلَّهُ يَقُولُ : أَنَا حُرٌّ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَارِكِيهِ لِذَلِكَ ، فَذَعُونِي ، لَا تُفْسِدُوا عَلَيَّ غُلَامِي ، فَقَالُوا : بَلْ نَبْتَاعُهُ مِنْكَ بِعَشْرِ قَلَائِصَ ، فَأَقْبَلَ بِهَا سُوْفُقَهَا ، وَأَقْبَلَ بِالْقَوْمِ حَتَّى عَقَلَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : دُونَكُمْ هُوَ هَذَا ، فَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا : قَدْ اشْتَرَيْتَكَ . قَالَ سُوَيْبُ : هُوَ كَاذِبٌ ، أَنَا رَجُلٌ حُرٌّ ، فَقَالُوا : قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَكَ ، وَطَرَحُوا الْحَبْلَ فِي رَقَبَتِهِ ، فَذَهَبُوا بِهِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْبَرَ ، فَذَهَبَ هُوَ وَأَصْحَابُ لَهُ ، فَرَدُّوا الْقَلَائِصَ وَأَخَذُوهُ « فَضَحِكَ مِنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا »^(٢) .

وكان النبي (ص) يمازح أهله ويداعبهم، وكان يسابق عائشة^(٣) رضي الله عنها، ويقر لعبها مع صواحبها فعنها رضي الله عنها قالت : (كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبَنَ مَعِي ، « فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعَنَ مِنْهُ ، فَيَسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبَنَ مَعِي »^(٤) .

(١) أبو بكر الصديق (٥١ ق.هـ/ ٥٧٣م-١٣هـ): عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي. أول الخلفاء الراشدين. سمي بالصديق وكان يدعى بالعتيق بويح بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١ للهجرة. توفي ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة، وكانت مدة خلافته ستان وثلاثة أشهر ونصف.

(٢) رواه أحمد.

(٣) عائشة بنت أبي بكر (ت ٥٨هـ): هي عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية القرشية. أمها أم رومان بنت عمرو بن عامر، من بني مالك، من كنانة. تزوجها الرسول ﷺ وبني بها بعد قدومه إلى المدينة في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة وكنّاها بأُمِ عَدِ اللَّهِ - وهو اسم ابن أختها عبد الله بن الزبير - توفيت بالمدينة ودفنت بالبيع.

(٤) رواه البخاري.

ويروي الحاكم من حديث عمرة قالت سألت عائشة كيف كان رسول الله إذا خلا مع نسائه، قالت: (كَانَ كَالرَّجُلِ مِنْ رِجَالِكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، كَانَ صَحَّاحًا بَسَامًا).

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن أنه (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ^(١)، وَعَبِيدَ اللَّهِ^(٢)، وَكَثِيرًا^(٣) بِنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَعْمُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ^(٤).

وقالت عائشة: (دَخَلْتُ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ^(٥)، فَجَلَسْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَقَدْ صَنَعْتُ حَرِيرَةً، فَجِئْتُ بِهَا فَقُلْتُ: كُلي. فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِذَائِقَتِهَا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَتَأْكُلِينَ مِنْهَا أَوْ لَأَلْطَخَنَّ مِنْهَا بَوَجهِكَ. فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِذَائِقَتِهَا. فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا شَيْئًا فَمَسَحْتُ بِوَجْهِهَا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) عبد الله بن عباس (٣ق.هـ - ٦٨هـ): عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أم الفضل - لبابة بنت الحارث - إليه ينتسب الخلفاء العباسيون، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة، كان فقيهاً علياً بأنسب العرب، والمغازي، والوقائع توفي بالطائف.

(٢) عبيد الله بن عباس (ولد ٢ ق.هـ) عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أم الفضل، لبابة بنت الحارث - كان سخياً، جواداً. قال بعض أهل العلم: كان عبد الله يوسعهم علياً، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً. واستعمله علي بن أبي طالب على اليمن، وأمره فحج بالناس سنة ٣٦ وسنة ٣٧. مات بالمدينة.

(٣) كثير بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أم ولد - كان فقيهاً فاضلاً، لا عقب له.

(٤) رواه أحمد.

(٥) سودة بنت زمعة (ت ٥٤ هـ / ٦٧٤ م) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، من لؤي، من قریش، أم المؤمنين. كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس. أسلمت، ثم أسلم زوجها وهاجر إلي الحبشة، ثم عاد إلي مكة وتوفي، فتزوجها رسول الله بعد وفاة خديجة بنت خويلد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهاجر بها. وهي أول زوجات الرسول بعد خديجة، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر.

وَسَلَّمَ يَضْحَكُ وَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا شَيْئًا لَتَمْسَحَ بِهِ وَجْهِي ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْفِضُ عَنْهَا رُكْبَتَهُ ، وَهُوَ يَضْحَكُ لِتَسْتَقِيدَ مِنِّي ، فَأَخَذْتُ شَيْئًا فَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ (١) .

كذلك أخرج أبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلح لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي لسانه فيهش له.

كذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادلونه المازحة فيضحك ويتبسم لهم، روي أن صهيباً^(٢) (قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرٌ وَخُبْزٌ فَقَالَ : « اذْنُ فُكُلٍ » ، قَالَ : فَأَخَذَ يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ بَعَيْنِكَ رَمْدًا » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا أَكُلُ مِنَ النَّاجِحَةِ الْأُخْرَى ، قَالَ : فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !) (٣) .

كذلك روى عوف بن مالك الأشجعي^(٤) أنه مازح النبي ﷺ قال: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ: « اذْخُلْ » فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « كُتْلُكَ ». ذلك أنه سأل (أكلي؟) من صغر القبة^(٥)!

(١) رواه ابن أبي الدنيا.

(٢) صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ (٣٢٢ ق . هـ / ٥٩٢ م - ٣٨٨ هـ / ٦٥٩ م) صهيب بن سنان بن مالك. يُعَدُّ مِنْ أَمْهَرِ الْعَرَبِ رَمِيًّا بِالسَّهَامِ، وَمِنْ أَسَابِقِينَ لِلْإِسْلَامِ. وُلِدَ بِالْمَوْصِلِ، وَكَانَ أَبُوهُ وَالْيَأُ عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ كَيْسَرَى. أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى نَحْيَتِهِمْ، فَسَبَّوْا صَهَيْبًا وَهَرَّ صَغِيرًا، فَنَشَأَ بَيْنَهُمْ لِذَلِكَ عُرْفٌ بِصَهَيْبِ الرُّومِيِّ. تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ، وَوُفِّدَ فِي الْبَقِيعِ.

(٣) رواه أحمد.

(٤) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني (ت ٧٣٣هـ).

(٥) رواه أحمد وأبو داود.

ولما رأى النبي ﷺ رجلاً ذا بشرة حمراء مازحه قائلاً: «أنت أبو الورد»، يقول أبو الورد: «رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا أَحْمَرَ فَقَالَ: «أَنْتَ أَبُو الْوَرْدِ»^(١)

وعن جابر بن عبد الله^(٢) (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَلْتَفِتُ إِذَا مَشَى، وَكَانَ رَبُّهَا تَعَلَّقَ رِذَاؤُهُ بِالشَّجَرَةِ، أَوْ الشَّيْءِ فَلَا يَلْتَفِتُ حَتَّى يَرْفَعُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمَزَحُونَ وَيَضْحَكُونَ، وَكَانُوا قَدْ آمَنُوا التِّفَاتُةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(٣).

كذلك كان الصحابة يمازحون بعضهم بعضاً، روى البخاري^(٤) في الأدب المفرد «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرَّجَالُ». وقيل للنخعي^(٥): هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ويمزحون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي، وقيل لابن سيرين^(٦) هل كانوا يتمازحون؟ قال: «ما كانوا إلا كالناس».

قال ابن مسعود: «خَالِطِ النَّاسَ، وَدِينِكَ لَا تَكَلِّمَنَّهُ، وَالدُّعَابَةَ مَعَ الْأَهْلِ»^(٧).

(١) رواه الطبراني.

(٢) جابر بن عبد الله الأنصاري (١٦ ق.هـ - ٧٨هـ) جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان الأنصاري السلمي الخزرجي الفقيه الصحابي.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) البخاري (الإمام) (١٩٤ - ٢٥٦هـ): محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، إمام أهل الحديث وصاحب «الجامع الصحيح».

(٥) إبراهيم النخعي (٤٧ - ٩٦هـ) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو الكوفي النخعي. أبو عمران. فقيه العراق، وأحد الأئمة المشهورين. تابعي، شيخ أبي حنيفة.

(٦) ابن سيرين (٤٣ - ١١٠هـ): هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء. أبو بكر. تابعي كان إمام وقته في علوم الدين. اشتهر بالورع وتفسير الرؤيا. له كتاب «تفسير الأحلام»، ولد وتوفي بالبصرة.

(٧) رواه البخاري في كتاب الأدب.

وقد روي أنه لما جاء أبو موسى الأشعري^(١) من عند عمر مدعوراً عندما استأذن ثلاثاً وانصرف حيث روى كلاماً عن رسول الله ﷺ وقال له عمر: والله لتأتيني على هذا برهان، أو بيينة أو لأفعلن بك، فذهب إلى مجمع للأنصار ليبحث عن شاهد.. «فجعل القوم يمازحونه»^(٢). أي: ليخففوا عنه..

وروي أن عبد الله بن عمر^(٣) كان يمازح مولاة له فيقول لها: خلقتني خالق الكرام، وخلقك خالق اللثام. فتغضب وتصيح وتبكي! ويضحك عبد الله بن عمر!

ولكن بالرغم من كثرة المرويات عن ضحك الرسول عليه الصلاة والسلام وكثرة تبسمه، إلا أن التراث الإسلامي زاخر بكل ما هو منفرد عن الضحك، ومحذر منه، حتى صار الذين يرفعون الشعار الإسلامي في الغالب يتخذون من عبوس الوجه علامة على التقوى أو العلم، ولكن النظرة المتمعنة في السيرة النبوية الشريفة، وفي القرآن الكريم تؤكد أن التبسم والضحك ليسا مذمومين، بل العبوس والتقطيب، هما اللذان ينفران الناس عن الدعوة. قال تعالى: ﴿عَسَىٰ وَتَوَكَّلْ﴾^(٤)، وقال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥). وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٦)..

(١) أبو موسى الأشعري (٢١ ق. هـ/ ٦٠٠ م - ٤٤ هـ/ ٦٦٥ م) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان. صحابي من الولاة الفاتحين. وكان من أهل القرآن حفظاً وفقهاً وعملاً. توفي بالكوفة.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) عبد الله بن عمر (١٠ ق. هـ - ٧٣ هـ): هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، كان من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الفتوى، ومن أكثر الصحابة اتباعاً لأثر الرسول ﷺ، توفي بمكة.

(٤) سورة عبس الآية الأولى.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

(٦) سورة النحل الآية ١٢٥.

هذه الآيات تؤكد أن اللين والبشر ، والفكاهة من أهم أدواتهما، هما من وسائل الدعوة الأنجع.

لقد اعتبر المزاح من الأشياء المطلوبة في الإسلام شريطة أن يراعي عدة موجهات فيبتعد عن السخرية، والاستهزاء بالآخرين والتعالي عليهم، ولا يدخل فيه ترويع الآخرين، أو الكذب عليهم.. موجهات كثيرة موجودة في نصوص الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن بَشَرٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تُسَاءَ مِن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بِنَسِ الْإِثْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (١).

ومثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»، وقوله: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم» (٢)، أو قوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا» (٣).

الفكاهة لدى الصالحين والأدباء

قال ابن القيم (٤) رحمه الله: (إن الناس ينفرون من الكثيف، ولو بلغ في الدين ما بلغ، والله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب، فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفاً، فترى الصادق فيها من أحب الناس وألطفهم،

(١) سورة الحجرات الآية ١١.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

(٤) ابن قيم الجوزية (١٠ صفر ٦٩١ - ٢٣ رجب ٧٥١هـ / فبراير ١٢٩٢ - سبتمبر ١٣٥٠م) الإمام - تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، زُرعي، ثم الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية. توفي ودفن بدمشق.

وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع). وقال ابن عيينة^(١): (البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين: وجه طليق، وكلام لين).

هنالك العديد من المرويات التي تظهر جانب المزاح والفكاهة لدى بعض العلماء والأدباء في التراث الإسلامي. قال الربيع: دخلت على الشافعي^(٢) وهو مريض فقلت: قوى الله ضعفك، فقال: لو قوى ضعفي قتلتني! فقلت: والله ما أردت إلا الخير. قال: أعلم أنك لو شتمتني لم تُرد إلا الخير.

وروي أن الشعبي^(٣) مزح في بيته ف قيل له: يا أبا عمرو، أو تمزح؟ قال: قرأ داخل وقرأ خارج، نموت من الغم! (لاحقاً نورد مزحة للشعبي في مجلس بعض ملوك بني أمية).

ووقع بين الأعمش^(٤) وامراته وحشة فسأل بعض أصحابه (ويقال: إنه أبو

(١) ابن عيينة (ت ١٩٨هـ): هو سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي الهلالي بالولاء. أبو محمد. محدث الحرم المكي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي به عن ٩١ سنة. من آثاره مسند وتفسير القرآن.

(٢) الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ / ٧٦٧ - ٨١٩م): هو محمد بن إدريس العباسي بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي بن عبد المطلب بن مناف، ولد في غزة ونشأ في مكة، تفننه على الإمام مالك كما أخذ عن محمد حسن الشيباني صاحب أبي حنيفة واجتمع بأحمد بن حنبل في بغداد، انتقل إلى مصر وفيه صنف كتاب (الأم)، وهو من الأئمة الأربعة.

(٣) الشعبي (١٩هـ / ٦٤٠م - ١٠٣هـ / ٧٢١م) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، ولد بالكوفة ونشأ بها، نسبته إلى «شعب» وهو بطن من همدان، راوية - من التابعين - يُضرب المثل بحفظه، وهو من رجال الحديث الثقات. كان فقيهاً شاعراً، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه وسميره، ورسوله إلى ملك الروم. توفي بالكوفة.

(٤) الأعمش (٦١ - ربيع الأول ١٤٨هـ) سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولا هم الكوفي الحافظ. أصله من نواحي الري. ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان، وقدموا به إلى الكوفة صغيراً - تابعي - توفي بالكوفة.

حنيفة^(١) أن يصلح بينهما فقال : هذا سيدنا، وشيخنا أبو محمد فلا يزهدتْك فيه عمشُ عينيه، ومُهوِشةُ ساقيه وضعف ركبتيه، وقَزَلْ رجله وجعل يصف فقال الأعمش : قم عنا فقد ذكرت لها من عيوي ما لم تكن تعرفه.

لقد تناول كبار المفكرين الإسلاميين موضوع الفكاهة وعلقوا عليه، وقال الغزالي^(٢) إن الجدل محتاج لشيء من اللهو، لإقامته واستمراره.

أما في الأدب العربي فهناك أقلام أتحت الناس بكثير من الأدب الضاحك مثل الجاحظ^(٣) صاحب كتاب البخلاء، ورسالة الترييع والتدوير التي وصف فيها أحد الأدعياء وصفاً رائعاً مضحكاً: كان ربع القامة تحسبه لسعة خاصرته مدوراً!!.



(١) أبو حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠ هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧ م): ولد بالكوفة من أسرة فارسية، تعرض للسجن والتعذيب في العصرين الأموي والعباسي. من الأئمة الأربعة.

(٢) الغزالي (أبو حامد) (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م): هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، درس فقه الشافعية ثم تعمق في دراسة الفلسفة، وكتب (تهافت الفلاسفة) متشككاً في قيمة العلم وبراهينه المنطقية، ولكنه بعد ذلك حاول رد الاعتبار للعقل أساساً للعلم كما جاء في كتابه (إحياء علوم الدين).

(٣) الجاحظ (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م - ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. أشهر علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأوسعهم ثقافة. لُقِّب بالجاحظ لجحوظ عينيه. ولد في البصرة وتركها إلى بغداد، وكان من أهل الكلام «المعتزلة».

نماذج من الفكاهة

الفكاهة يمكن أن تكون سليقية مطبوعة، وتوجد في الأشخاص، والشعوب خفيفة الظل. ومن الفكاهة ما هو مصنوع، وهو الذي يبذل فيه أصحابه جهداً وتكلفاً وهي في ذلك مثل كل الأداء الإنساني فمن الشعراء من ينطلق شعره بسهولة كأنه يغرف من بحر، ومنهم من يصارع المعاني كأنه ينحت من صخر يمكن أن نسمي الشخص المطبوع فكهاً، ونسمي الآخر متفكهاً.

النكات المسببة للضحك كثيرة منها ما هو مروحي، ومنها العملي ومنها الدرامي، ومنها التشكيلي، وستتطرق هنا لجانب من هذه الأنواع:

النكتة المروية:

وهذه لها أنواع مختلفة، مثل النكتة السياسية، والنكتة الإثنية أو العنصرية، والنكتة الجنسية، والنكتة الدينية، والنكتة الاجتماعية، والنكتة السريالية، أو اللفظية - التلاعب بالألفاظ - والنكتة للغز، مثل نكات النمل: مثلاً: نملة أرادت أن تعبر الطريق ولكنها تراجعت في آخر لحظة. لماذا؟).. الخ.

النكتة المروية شائعة في أحاديث، وقصص، وأمثال الناس. وموجودة في كل آداب البشر مثلها مثل الأمثال والحكم والأساطير، ولا يخلو تراث بشري من أدب ضاحك.

النكتة اللفظية تقوم على ألفاظ متشابهة مع اختلاف في معانيها (التورية) مثلاً البيت الذي قاله الشاعر اللبناني صلاح الأسير في أحد ساسة لبنان المشهورين -

سامي الصلح^(١)، قال يهجو:

| | |
|--------------------|--------------------|
| لا ييالي فإذا بالي | فمن بال يبول |
| أو قول العربي: | |
| واقطع قلت له | أنت لص أوحد |
| فقال هذه صفة | لم يسبق لي فيها يد |

أو قول العالم اللغوي الذي ذهب للبادية للاستدلال بأقوال الأعراب على حقائق اللغة العربية، فوجد أعرابياً وسأله أتهمز الفأرة؟ (أراد الهمز الاصطلاحي لتحديد أصحح أن يقال فارة بلا همز أم فأرة بالهمز) فقال الإعرابي (وهو طبعاً لا يعرف المعني الاصطلاحي للهمز، فذهب للمعني الحقيقي): إنما يهمزها السنور (القط).

ونكتة أخرى سودانية: بعد أن اتسعت سياحة السودانيين مؤخراً صرت ترى الأسرة بكاملها الجد والجددة والأب والأم والأطفال وأقاربهم سائحين، وفي باريس قابل بعض السودانيات المسنات شابات، فسألنهن ماذا تفعلن هنا؟ فأجبن ندرس الترجمة الفورية فتساءلت إحدى المسنات بتعجب أحقا؟ وهل صاروا يدرسون لغة الفور في باريس؟

وهناك نوع من النكات يقوم على هجوم وهجوم مضاد يفحم المهاجم، مثلاً كان للسياسي البريطاني الشهير ونستون تشرشل^(٢) عدد من المعجبين، وعدد آخر من

(١) سامي الصلح (١٨٩٠ - ١١/٦/١٩٦٨ م) السياسي اللبناني ومن رؤساء الوزارات، ولد بمدينة عكا، تخرج بالحقوق في جامعات اسطنبول وباريس، كان في سوريا، وانتقل للبنن عام ١٩٢١ م، عمل في سلك القضاء اللبناني نحو ٢٢ عاماً، وتولى رئاسة الوزارة سبع مرات.

(٢) ونستون تشرشل (٣٠/١١/١٨٧٤ م - ٢٤/١/١٩٦٥ م) السياسي ورجل الدولة البريطاني الشهير - انضم للجيش حيث شارك بعملياته في الهند وفي معركة كرري (أم درمان) وكتب كتابه =

الحساد والمعارضين، وكان يكثر من شراب الخمر فقالت له سيدة من منتقديه: يا ونستون إذا كنت زوجتك لو وضعت لك سَمًا في هذا المشروب! فرد عليها فورًا يا سيدتي لو كنت زوجك لشربته بكل سرور!! ومن نكات التراث في هذا الصدد أن الحسن بن علي^(١)، ومعاوية بن أبي سفيان^(٢)، اجتمعا في مائدة طعام وكان بينهما ما بينهما من جفوة، وكان في المائدة خروف صغير محمر فنهشه احسن ليأكل منه، فقال له معاوية: ما هذه القسوة كأن أمه نطحتك؟ فرد الحسن فورًا: وأنت ما هذه الشفقة كأن أمه أَرْضَعْتِك؟!

النكتة الاجتماعية: نوع آخر هو النكتة الاجتماعية، وهي التي تضحك من الأوضاع الاجتماعية، مثلًا العلاقة مع الحماية في المجتمع المصري سئل أحدهم ما هو الفرق بين الحادثة والمصيبة؟ قال: الحادثة أن تقع حماتي في النهر والمصيبة أن يأتي أحدهم وينقدها!.



= حرب النهر (١٨٩٩ م). انضم لحزب المحافظين ثم للحزب الليبرالي، ثم عاد لحزب المحافظين، وصار من أبرز قياداته. أثناء الحرب العالمية الثانية عين كرئيس للوزراء، وكون حكومة ائتلافية رأسها حتى ١٩٤٥ م. كما صار رئيسًا للوزراء مرة أخرى بعد انتخابات ١٩٥١ م. نال جائزة نوبل للآداب عن كتابه (الحرب العالمية الثانية) ذي الأجزاء الستة. اعتزل السياسة لأسباب صحية في ١٩٥٥ م.

(١) الحسن بن علي (٣ ق.هـ - ٥٠ هـ) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. أبو محمد. ثاني الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها. ذكر السيوطي والأصمعي أن معاوية دس السم للحسن عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس على أن يزوجه ليزيد ابنه فسمت الحسن وحان معاوية وعده لها.

(٢) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق.هـ - رجب ٦٠ هـ) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس القرشي الأموي. أبو عبد الرحمن أمه هند بنت عتبة. أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة. حول الخلافة للملك عضود، توفي في دمشق وفيها دفن.

كاركتير مشهور في كتاب عمرو فهمي ضحكات غاضبة



النكتة السياسية: وهي تنتشر في حالات معينة مثل: حالات شدة التنافس بين الخصوم السياسيين، وحالات القهر، ففي حالات التنافس الحاد تصبح النكتة السياسية أسلوب صراع بين المتنافسين أما في حالات القهر، فإنها تصبح وسيلة تنفيس ومعارضة لقد صار الشعب المصري أستاذًا في النكتة، لاسيما السياسية، وقيل إن أكثر عهد تكاثرت فيه النكتة السياسية في مصر هو عهد الوالي قراقوش^(١) (ولاه صلاح الدين الأيوبي^(٢) لحكم مصر نيابة عنه) وقيل: إن قراقوش هذا كان قاسياً ظالماً جاهلاً فمزقته النكات إرباً إرباً.

وقيل: إن الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر^(٣) كان يتابع النكات ويهتم

(١) أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين (ت ٥٩٧هـ) كان خادماً أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين، فأعتقه ووظفه لما رأى من حسن تصرفه. جعله صلاح الدين نائبه بالديار المصرية. وكان حسن السيرة، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة، وبنى قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين)، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وغيرها. والظاهر أن الأقوال المقترة عنه موضوعة، حيث إن صلاح الدين كان معتمداً عليه في أحوال المملكة، لوثوقه بسعرفته وكفانيته، توفي بالقاهرة. (قراقوش: لفظ تركي معناه بالعربي: العُقاب).

(٢) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢هـ - ١١٣٧م - ٥٨٩هـ - ١١٩٣م) يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان ابن يعقوب، المعروف بصلاح الدين، والملقب بملك الناصر. قائد إسلامي شهير، عُرف بحروبه ضد الصليبيين. وُلد في تكريت (بالعراق)، من القبيلة الهذانية الكردية، نشأ في الموصل، تولى حكم مصر عن الفاطميين ثم العباسيين، هزم الصليبيين في معركة حطين الفاصلة (عام ١١٨٧)، أسس الدولة الأيوبية، وبسط سلطانه على مصر وسورية، وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، وبسورية ١٩ سنة. توفي بدمشق، ودفن بجوار المسجد الأموي.

(٣) جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠م) رئيس جمهورية مصر العربية (١٩٥٦ - ١٩٧٠م). وُلد بالإسكندرية، تخرج في الكلية الحربية الملكية عام ١٩٣٨م، عمل بالجيش، وشكل مع عدد من الضباط حركة «الضباط الأحرار» السرية، والتي قامت فيما بعد بقيادة محمد نجيب بثورة ١٩٥٢م وخلعت الملك؛ فأصبح عبد الناصر رئيساً لجمهورية. ساهم في تأسيس حركة عدم الانحياز في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م.

بها كنوع من قياس الرأي العام، وقيل إنه ذات يوم طلب مقابلة شخص تُنسب له نكات كثيرة فلما جاء سأله كيف تشتغل بتأليف النكات عني، وأنا شخص انتخبه الشعب المصري بنسبة ٩٩, ٩٩%؟ فرد الرجل بسرعة قائلاً: والله يا ريس هذه ليست من تأليفي!

لقد اقتبس السودان النظام الشمولي من مصر الناصرية، وفي عهد مايو ظهرت في المجتمع السوداني نفس ظاهرة النكتة السياسية المعهودة في مصر، وفي أثناء الحماسة المفتعلة لتطبيق الأحكام الحدية (عقب إعلان قوانين سبتمبر ١٩٨٣م في عهد النظام المايوي) قيل: إن أحدهم سرق مالا أقل من النصاب وكانت السرقة في أم درمان (حيث توجد محكمة جنائية برئاسة المكاشفي - أحد القضاة المتحمسين لتلك الأحكام) فرآه شرطي وهم بقبضه، فإذا بالسارق ينفلت ويجري بسرعة خيالية حتى عبر جسر النيل الأبيض، ووصل الخرطوم ووقف حتى لحق به الشرطي واعتقله فسألوه لماذا فعلت ذلك؟ قال: لأنه إذا ألقى القبض علي في الخرطوم، فسأقدم للمحكمة الجنائية فيها، أما في أم درمان فالمكاشفي يكمل نقص النصاب من جيبه ليحكم بالحد!

هذه نكات من باب المعارضة والتنفيس في ظروف القهر، أما النكات من باب التنافس السياسي، فمنها ما يروى عن برنارد شو الكاتب البريطاني المعروف، كان برنارد شو^(١) اشتراكياً ناقداً للنظام الرأسمالي، وكانت في رأسه صلعة عظيمة، وفي وجهه لحية عظيمة فقيل له: ما هذه المفارقة شعر كثير من تحت ولا شعر من فوق؟

(١) جورج برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠م) كاتب مسرحي، وناقد ومفكر بريطاني اشتراكي من أبرز الشخصيات في القرن العشرين، نال جائزة نوبل في الآداب ورفض استلام الجائزة النقدية المصاحبة لها: من المدافعين عن حقوق المرأة.

قال: هكذا النظام الرأسمالي إنتاج وفير وتوزيع غير عادل!! نكتة أخرى من هذا القبيل كان خرتشوف^(١) يهاجم ستالين^(٢) هجوماً قاسياً في حديثه لأمم الأمم العشرين للحزب الشيوعي وأثناء الهجوم صاح أحد الحاضرين: أين كنت أنت؟ فسأله خرتشوف بعد برهة من الذي قال هذه العبارة؟ ولكن لم يجبه أحد قال خرتشوف: لقد كنت حيث كان هذا الذي سأل.

كاركتير علي الدويد (منشور بصحيفة السوداني بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠٠٦م)



(١) نيكيتا خرتشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١م) سبق تعريفه

(٢) جوزيف ستالين (١٨٧٩/١٢/٢١م - ١٩٥٣م) القائد السوفيتي الشيوعي الأموي، والأوحد لمدة حوالي ربع قرن، حيث أعقب لينين بعد وفاته في عام ١٩٢٤م وأقام مراجعات عديدة للشيوعية في اتجاه إحكام القبضة الديكتاتورية والقهر.

الشعر الضاحك:

إضافة للشعر الذي يذكر المفارقات، أو يتلاعب بالألفاظ، فهالك نوع من الشعر الفكاهة، مثلاً قال أحد الشعراء يصف داره:

ودار خراب بها قد نزلت ولكن نزلت إلى السابعة
فلا فرق بين أني أكون بها أو أكون على القارعة
تساورها هفوات النسيم فتنفض بلا أذن سامعة
وأخشى بها أن أقيم الصلاة فتسجد حيطانها الراكعة
إذا ما قرأت إذا زلزلت خشيت بأن تقرأ القارعة

وشبهه هذا الذي قاله الشاعر في شكوى الصد:

تقرأ سعاد بضم ما أقرأ أنا أقرأ ألم نشرح، تقرأ لي عبس!
جس الطبيب مفاصلي ليداويني وبكى علي رحمة حين جس
مالي شفاء يا سعاد لعلني إلا الصلاة على المؤيد بالغلس
أو كذلك الذي رواه الجاحظ في كتابه (الحيوان) من شعر يذكر حسن الدجاجة،

ونبل الديك. والشاعر رأى هذه المناظر من تأثير «شربة»، قال:

غدوت بشربة من ذات عرق أبا الدهناء من حلب العصير
وأخرى بالعنقل ثم رحنا نرى العصفور أعظم من بعير
كأن الديك ديك بني نيمر أمير المؤمنين على السريـر
كأن دجاجهم في الدار رقطاً بنات الروم في قمص الحرير
فبت أرى الكواكب دانيات ينلن أنامل الرجل القصير
أدفعهن بالكفين عنـي وأمسح جانب القمر المنير

في الفترة ما قبل الاستقلال شاع لشعر الفكاهة في السودان باستخدام اللغتين الفصحى والقومية، خاصة الشعر القومي الفكاهة في التنافس بين تيارى الاستقلال والاتحاد مع مصر، من ذلك شعر: عبد الحليم علي طه عن التيار الاستقلالي، ومحمود الفكي لدى التيار الاتحادي، وقد كانا صديقين حميمين برغم ما تبادلاه من شعر لاذع، وقد صدر مؤخرًا للدكتور فيصل عبد الرحمن علي طه كتاب بعنوان: (بين شاعرين: مع إخوانيات عبد الحليم علي طه، ومحمود الفكي) يوثق فيه لتلك التبادلات الساخرة والسخنة بينهما، والتي لم تخل من ود بل ومنها شعر مادح لبعضهما الآخر^(١).

أما في هجاء بعضهما الآخر، فقد كان محمود الفكي يهجو عبد الحليم بأنه (ود المادح)، قال فيه:

نقرات طار أبوك بتصمم الأذنين
نقراتو التقول عنز الخلا أب قرنين
حاييم بين رفاعة وطيبة والكاملين
وإيراد ليلتو قط ما زاد على القرشين

وكان عبد الحليم يهجو صاحبه بأنه من سلالة جاءت السودان حديثًا ملقبًا إياه بـ(الحفيد) وقد قال فيه:

هيجت الشعور ورد الشعر واترادی
في وصف الحفيد قالوا الحفيد اتمادی
في الغي والضلال رخص فتحلو عيادة

(١) فيصل عبد الرحمن علي طه بين شاعرين مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي - الطبعة الأولى مارس ٢٠٠١م.

راسهالو القرد خسران عليه قلادة

دربكة وطبل زمارة جاية هوادة

ما بنكر عليك صنعة جدودو أجادًا

وقد تبادلا مثل هذا الشعر اللاذع كثيرًا، ثم اتفقا في إحدى المناسبات في أربعينيات القرن العشرين أن يتبادلا المدح فأذهلا الحاضرين، حيث قال الحفيد في صاحبه:

يا زين الشباب جاك المنازل طابع

لا مكسور جناح لا منهزم لا جابع

في عيد كرنفال قدم يمينو يبايع

أذاك صولجان بي إيد فحل مو مابع

ورد عليه ود المادح قائلاً:

إت محمود أخوي أنا كيف عليك بتتبا

قصدي دعابة بس أصلو الدعابة محبة

والداير الفتن تحت الستار بدبا

حاول مستحيل ما بلقى عندي الحبة

كما شاع الشعر الفكاهة في السودان مؤخرًا باسم (الشعر الحلمتيش) الذي وجد في جامعة الخرطوم، وانتشر في غيرها. مثال لذلك القصيدة التي قيلت في وصف حالة أحد الطلاب، وقد خطبت البنت التي يحب لغيره وقال فيه الشاعر الحلمتيشي:

في الليلة ديسك

القصة ذاتا بقت عليك

يا عبده وأدوك الشريط

إشارة للأغنية المشهورة (في الليلة ديك) التي تحكي عن قصة ماثلة، و«الشريط» مصطلح يدل على «مرتبة» الخيبة في المحبة!

الفكاهة في الأمثال:

توجد الفكاهة في الأمثال كما توجد في الأشعار والحكم والنثر. وفي الأمثال السودانية هناك الكثير من التصاير الفكاهة، مثلاً: «يقطعوا في إضنينها، وتقول: خلوا محل الخروس!». أي: أنهم يقطعون أذنيها وهي مهتمة بأن يتركوا لها مكاناً لتعلق عليه الأقران!.

وهناك ثلاثة ديوك يمثّل بها في السودان: ديك البطانة وديك العدة، وديك المسلمية. والمثل: «متل ديك المسلمية يحمرّوا في بصلته، وهو يعوي» تصرير مضحك لمن يشغل الناس بالأحاديث والصراخ غير آبه بالمصيبة وشيكة الوقوع به!.

وكذلك في تصوير احتيال أحدهم بالمثل «مخنا في بخت أم حنا، إن شالوه برد، وإن ختوه ورد»، فهو قد حير الناس؛ لأنه إن رفعوه أصيب بالبرد، وإن وضعوه أصيب بالحمى!

وكذلك المثل الذي يقال حول إعجاب الإنسان بأبنائه مهما كان حاضماً، ما يروى على لسان الجعران بقوله وهو يتأمل أولاده: «أولادنا في الحيط متل اللولي في الحيط»!

وهناك أقوال وأمثال كثيرة تروى تضرب في أولئك الذين يزلزل انزعج كيانهم فيتحدثون بشكل مضحك، مثلاً: «يا أهنّ الفيلة الروايب جاتكم» حيث قلب الجملة، وكذلك القول الذي يروى عن المفزوع الذي استنجد بالشيخ العبيد ود بدر (المعروف أيضاً بالشيخ العبيد ودرية) قائلاً: «يا شيخني ود بدر النبي صوفو صدر، النبي سبحتو رقبة، راكب سيفو ومتوشح بالجواد»!

النكتة العملية:

وتتنوع النكات فمنها النكتة العملية، مثلاً، شخص وقور يهيم بالجلوس على مقعد فيزال المقعد من تحته ويسقط على الأرض، أو قصة الغراب الذي حاكى الطاووس فضل مشياً وما بلغ القديم ولا الجديداً، أو قصة الثعلب مع الغراب حينما وجد بمنقاره قطعة من الجبن، فاحتال الثعلب ليأخذها من الغراب قائلاً له: أنا من المعجبين بصوتك فهلاً أظربتني؟ فصدق الغراب.

قال يا ليل ومد فاه فسقطت الجبنة من فيه! فأسرع إليها الثعلب، والتقطها ضاحكاً على غباه!

وقد شهدت عددًا كبيرًا من هذه النكات العملية في حديقة الحيوان بالجيزة في مصر حيث أقام الحراس مع حيواناتهم نوعًا من السيرك الخاص فقام حارس الأسد والفيل والنمر والقرد والبيغاء الخ بحركات مع حيواناتهم مضحكة للج جمهور مثلاً قال حارس البيغاء للطائر: قل يا محمد، فقال (يا محمد) قلها بالدلع، فقال: (يا حمادة) مبالغاً في المد!

الفكاهة الموسيقية

دخلت الفكاهة في الموسيقى، والغناء فبعض الأغاني مضحكة بمعانيها وطريقة أدائها، وكذلك بعض الألحان، وقد قيل في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني^(١) عن موهبة بعض المغنين حيث تحدث عن الفارابي^(٢) وكيف أنه دخل على مجلس

(١) أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤هـ/٨٩٧م-٣٥٦هـ/٩٦٦م) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني، من أعلام الأدب في القرن الثالث الهجري، وسليل الأسرة الأموية. ولد في أصفهان سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م، وأقام ببغداد، شيعي المذهب، كتاب (الأغاني) يعد أضخم مؤلفاته.

(٢) أبو نصر محمد بن ترخان الفارابي (ولد ٨٧٠م/٢٥٦هـ) ولد بمدينة فاراب في بلاد ما وراء النهرين أوزبكستان. انتقل إلى بغداد ليعيش فيها ويتعلم وكانت عنده معرفة كبيرة في المنطق والسياسة والرياضيات والكيمياء والموسيقى وكتب عدّة كتب في هذه العلوم، وترجمت أكثرها إلى عدّة لغات.

تناول الحديث عن الموسيقى، وأراد أن يثبت لهم قدرتها على التحكم في المشاعر
فركب آلة وعزف بها لحنًا بكوًا، ولحنًا آخر ضحكوا، ولحنًا آخر رقصوا، ثم عزف
لحنًا فناموا وخرج وتركهم.

التشكيل الضاحك

كاركتير من كتاب عمرو فهمي ضحكات غاضبة



أنشأ أدب الفكاهة الأوروبي أصنافاً جديدة من وسائل الإضحاح عن طريق الرسم كالكرتون والكاريكاتور، أما الكرتون فيعتمد على إتقان الرسم، وعلى الخيال الواسع واستخدام القصص، والأساطير والروايات الشعبية، وتقديمها للمشاهدين بصورة مدهشة مضحكة هذا فن نجح كثيراً في تطوير أدب الفكاهة لاسيما للأطفال، لقد ملأ الكرتون دنيا الأطفال. أما الكاريكاتور، فإنه يقوم على استخدام المبالغة في بعض الملامح لجعل الرسم مضحكا، عبارة كاريكاتور مأخوذة من عبارة إيطالية معناها: الشحن فوق الطاقة، أو المبالغة.

وفي زيارة سجلتها مع أسرتي إلى موقع المصورات الصفراء الأثري في مطلع مايو ٢٠٠٤م، اصطحبنا مشكوراً الأستاذ جعفر ميرغني، وطوّف بنا في مدرسة المصورات الصفراء التي كانت في ماضي عهدها بمثابة معهد علمي، وكذلك في معبد أباداماك «الأسد المجنح» الذي كان يُعبد في مروي القديمة. وبينما نحن نتنقل داخل مباني المعهد أشار الدكتور جعفر لرسومات لطيفة في إحدى حوائط المدرسة يرى أنها ربما كانت أقدم الرسومات الكاريكاتيرية في السودان.. حيث رسم بعض التلاميذ أحد شيوخه «مدرسيه» بصور مضحكة، فهو أصلع وبكرش كبيرة وله ذيل قرد.. وقد رسمه بأشكال مختلفة مضحكة.

الكوميديا

التراث اليوناني أتخف الإنسانية بالكوميديا، وهي فكاهة مسرحية، وكان أرسطو يرى أن للكوميديا دوراً اجتماعياً هاماً؛ لأنها إنما ترفع مرآة للمجتمع فيرى فيها عيوبه من خلال أداء فكه ويعمل على تصحيحها إن في المجتمع الإنساني تناقضاً مستمراً بين القيم الاجتماعية العليا التي يستمدّها الإنسان من الدين والأخلاق والواقع الاجتماعي الذي يستمدّه الإنسان من غرائزه وأطماعه، الكوميديا تركز على كشف هذا التناقض

وربما ساعدت على محاولة التغلب عليه، وربه تجاوزت الكوميديا دور الكشف على تناقضات المجتمع وصارت ساخرة وناقدة لها، في هذه الحالة فالمسرحية مسرحية ساخرة (Satire) إن السخرية بالتناقض بين الادعاء والحقيقة شائعة في الأدب العربي، ولكن الأدب الأوروبي أعطاها تعبيراً مسرحياً، فمن باب أدب السخرية العربي قال أبو العلاء المعري^(١) مشهراً ببعض رجل الدين:

رويدك قد غررت وأنت حرٌّ بصاحب ملّة يعظ النساء
يحرم فيهم الصهباء صباحاً ويشربها على عمد مساءً!
يقول لهم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

أو السخرية بشخص اسمه عيسى يدعي الفضل:

سموك عيسى ولم تأت بمعجزة ولم تشابهه في فضل ولا أدب
ولا أتيت بشيء من فضائله إلا بأنك من أم بغير أب

لقد اتسع مجال أدب الفكاهة كثيراً جداً في العصر الحديث؛ لأن ظروف الحياة العصرية وما فيها من تناقضات وحسرات وعفارات خلقت حاجات ماسة لأدب الفكاهة، وأتاحت وسائل الإعلام الحديثة من مذياع، وتلفاز، ومسرح، وسينما، وصحافة، وفيديو، وأقمار، فرصاً واسعة جداً للفكاهة. وفتحت المواصلات والاتصالات الحديثة للعالم على بعضه بعضاً، وتبادل الناس أدب الفكاهة بدلاً واسعاً.

(١) أبو العلاء المعريّ (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م - ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان المعريّ، التنوخي، ينتسب للنعمان بن عديّ. أبو لعلاء، ولد بمعرة النعمان بالشام، لقب بنفسه رهين الحسين (فقد بصره، وملازمته دره، وعزّاله الناس). له شعر كثير ومؤلفات نثرية تحتوي على فلسفة عميقة للحياة.

لقد قدم لوريل وهاردي وأمثالهما الفكاهة في شكل الكاريكاتير البشري الحي أن يأتي الإضحاح من حركات الوجه، والجسم وغرابة الموقف. هذا الفن قدمه للجمهور العربي إسماعيل يس، وفي السودان الفاضل سعيد. وقدم شارلي شابلن سينما ضاحكة تقوم على المفارقات الاجتماعية وهو ما قدمه للمسرح العربي فؤاد المهندس ودريد لحام.

لقد صارت صناعة الفكاهة من أكبر صناعات العصر الحديث. هذا الاستغلال التجاري أدي لانتشار أدب فكاهة في الغرب رخيص من حيث الركن للنواحي الجنسية، والشذوذ والسادية، ومثلما اقتبسنا من الغرب بعض الأشياء النافعة فقد اقتبسنا أيضاً بعض الأشياء الضارة، فبلداننا الآن تشهد استغلالاً تجارياً ضاراً لأدب الفكاهة، وهناك فنانون نبغوا في أدب الفكاهة أمثال عادل إمام^(١)، ولكن دفعهم النجاح في هذا المجال، والمنافع التجارية المتاحة لاقتحام مجالات أخرى من المسرح والسينما دون تأهيل حقيقي لذلك.

إن أدب الفكاهة ومجالات أخرى في حياة الإنسان والمجتمع مثل الفن والرياضة مجالات تعامل معها كثير من الفكر الديني في بلداننا باستخفاف شديد، وتركها كثير من المؤمنين تزمناً أو تشدداً أو تمسكاً فاحتكرها كثيرون ممن استخفوا بالالتزام الديني أو أسقطوه. إن الاستخفاف بأدب الفكاهة أو بالرياضة أو بالفن، لا يلغي هذه الأنشطة؛ لأن لها دوراً عضوياً في كيان الإنسان النفسي، والاجتماعي إنها يؤدي

(١) عادل إمام (ولد ١٧ مايو ١٩٤٠) يعتبر من أكبر الممثلين المصريين المعاصرين. تخرج من كلية كلية الزراعة جامعة عين شمس. بدأ حياته الفنية على مسرح الجامعة ثم أسند إليه عدد من الأدوار الصغيرة إلى أن قام ببطولة مسرحية مدرسة المشاغبين، ثم أصبح ممثلاً مرموقاً في درحة السبعينيات وحتى اليوم. تم اختياره مؤخراً سفيراً للنوايا الحسنة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، وبذلك أصبح معروفاً على المستوى السياسي العالمي.

الاستخفاف بها لدى الملتزمين دينياً إلى انفراد الآخرين بها، وتطويرهم لها في اتجاهات مستخفة بالالتزام الديني. إن النظرة السوية هي ألاّ يستخف الإنسان بالجانب الروحي من الحياة كما لا يستخف بمطالب الحياة الأخرى، النظرة الجادة للحياة هي النظرة المحيطة، والنظرة الإسلامية للحياة محيطة بمطالب الإنسان العشرة حريصة على توافرها بصورة موزونة.

